الكنيسة القبطية الأرثوذكسية
Coptic Orthodox Church
دراسات كتابية وآبائية
Biblical and Patristic Studies



يوناننا الجديد

٢

اعداد
القمص تادرس يعقوب ملطي

مسيحنا المُخلِص العجيب في سفر يونان

يونان النبي والتمتع بعمل السيد المسيح

كلمة "يونان" أو "يونا" في العبرية تعني حمامة، وفي رأي القديس چيروم تعني أيضًا "متألم". لهذا يرى أن هذا السفر هو سفر حلول الروح القدس الذي يظهر على شكل حمامة خلال المسيّا المتألم، الذي دخل إلى القبر كما إلى جوف الحوت وقام ليقيمنا معه، واهبًا إيانا روحه القدوس عاملاً فينا. وكما يقول القديس چيروم: [صوّر يونان قيامة ربنا بعبوره في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ ليهبنا الغيرة الأولى لنوال حلول الروح فينا.] بينما كان اليهود يقاومون الأنبياء ويضطهدونهم إذا بأهل نينوى يقبلون كرازة يونان ويعلنون صدق توبتهم. بهذا يرى القديس چيروم صورة رمزية لرفض اليهود للسيد المسيح الذي تنبأ عنه أنبياؤهم بينما قبلت الأمم الغريبة الإيمان به خلال سماعها عنه. وكما قال السيد المسيح نفسه: "رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه، لأنهم تابوا بمناداة يونان، وهوذا أعظم من يونان ههنا" (مت ١٢: ٤١). يقول القديس چيروم: [صار اليهود تحت الحكم بينما قبل العالم الإيمان. مارست نينوى التوبة بينما هلك إسرائيل في جحوده وجفّ. هم عندهم الكتب، أما نحن فلنا رب الكتب؛ هم لهم الأنبياء أما نحن فلنا فكر الأنبياء. هم يقتلهم الحرف أما نحن فيُحيينا الروح. لديهم باراباس مقيدًا، أما نحن فلنا المسيح ابن اللّه حرًا.] ظهر هذا الفكر في توبة نينوى وفي خشوع النوتية وخوفهم الرب وتقديمهم ذبائح له ونذرهم نذرًا، أي قبول الأمم الرب وتقديمهم العبادة الخاشعة له.

كشف هذا السفر عن محبة اللّه للبشرية من جوانب متعددة، فأعلن أنه إله الجميع، يهتم باليهود كما بالأمم، يَوَد خلاص كل نفس. في محبته يعلن ضعفات نبيه لا للتشهير بها وإنما ليهب رجاءً لكل نفس ضعيفة، وفي محبته يبرز الجوانب الطيبة حتى في الأُمميين

فيعطي ضوءًا على تصرفات النوتية المملوءة حكمة ولطفًا فاستحقوا أن ينعموا بالإيمان. الله في محبته يستخدم كل شيء حتى الخليقة الجامدة لتحقيق غايته نحو الإنسان فهو الذي أرسل النوء العظيم، وأعد حوتًا يبتلع يونان، ودودة تأكل اليقطينة، وريحًا حارة تضرب الشمس رأس يونان.



كلها إرساليات تُحقق مصالحة الله مع الإنسان وتعلن عن محبته له. جاءت تسبحة يونان قطعة نبوية رائعة تعلن عن عمل السيد المسيح الخلاصي.

أشار ربنا يسوع المسيح إلى قصة يونان كحقيقة واقعة، وأيضًا إلى توبة أهل نينوى (مت ١٢: ٣٩-٤٠؛ لو ١١: ٢٩-٣٠)، ولم يعترض أحد من اليهود أنها قصة رمزية.

طابع السفر تاريخي بسيط وليس بالسفر الشعري الرمزي كما يظن البعض، إذ يضم أصحاحًا واحدًا شعريًا هو صلاة يونان في جوف الحوت. هذا ويذكر السفر اسم النبي واسم والده بكونهما شخصين معروف مكان نشأتهما (٢ مل ١٤: ٢٥)، كما يذكر أسماء مواضع معروفة مثل يافا وترشيش ونينوى، فالأسماء ليست رمزية.

يونان النبي وكرازة الرسل للأمم

أشار السيد المسيح إلى قصة يونان كنبوة عن دفنه وقيامته (مت ١٢: ٤٠؛ لو ١١: ٢٩-٣٢). وتعلم تلاميذه من يونان الالتزام بالطاعة لله، خاصة في الوصية: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم" باسم الآب والابن والروح القدس" (مت ٢٨: ١٩). لقد أدركوا الدرس الذي قدمه يونان حيث قبل الملك وكل القادة والشعب الإيمان بالله. "فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة، ندم الله عن الشر الذي تكلم أن يصنعه فيهم" (يون ٣: ١٠). نلمس ذلك من الأمثلة التالية:

١. عندما أرسل كرنيليوس قائد مئة ثلاثة رجال إلى بطرس الرسول رسول الختان بناء على طلب ملاك من الله.

(أع ١٠ : ٣-٥) ليستدعيه، لم يتردد سمعان بطرس في الذهاب معهم ليكرز في بيت هذا الروماني. لقد وهبه اللّه رؤيا حيث جاءه صوت: "ما طهره اللّه لا تدنسه أنت" (أع ١٠ : ١٥). أطاع متذكرًا دعوة اللّه ليونان النبي ليكرز في نينوى عاصمة أشور.

٢ لما دعا الوالي سرجيوس بولس برنابا وشاول (بولس الرسول) والتمس أن يسمع كلمة اللّه، وبخ الرسولان جمهور اليهود الرافضين قبول كلمة اللّه، لذلك قالا: "هوذا نتوجه إلى الأمم" (أع ١٣ : ٤٦)، لقد حرك اليهود النساء المتعبدات الشريفات ووجوه المدينة وأثاروا اضطهادًا على بولس وبرنابا وأخرجوهما من تخومهم. أما الرسولان فلم يتوقفا عن خدمة الأمم.

٣ في مجمع أورشليم، أعلن رسول الختان بطرس: "أيها الرجال الإخوة أنتم تعلمون أنه منذ أيام قليلة اختار اللّه بيننا أنه بفمي يسمع الأمم كلمة الإنجيل ويؤمنون" (أع ١٥ : ٧).

يوناننا الجديد

شاهد يونان إسرائيل كيقطينة ظللته إلى حين بالشريعة والنبوات، لكنها يبست بدودة الجحود وعدم الإيمان والخيانة للمسيا المخلص، لذا اغتم غمًا شديدًا واغتاظ. العجيب أن اللّه فاحص القلوب حوّل هذا الهروب بالرغم مما فيه من عصيان للأمر الإلهي إلى خلاص فئة جديدة من الأمم هم البحارة ورئيس النوتية الذين خافوا الرب خوفًا عظيمًا وذبحوا ذبيحة للرب ونذروا نذورًا (يون ١ : ١٦) بعد إلقاء يونان في البحر ودخوله في جوف الحوت، فصار عملاً رمزيًا لخلاص الأمم بعد أن أُلقيَ السيد المسيح "يوناننا الجديد" في القبر. ليحملنا روح اللّه القدوس إلى مخلصنا، فنراه من أجلنا سلم نفسه ليُلقى في بحر حياتنا الثائرة، نازعًا عنها اضطراباتها، حاملاً إيانا معه لا في جوف الحوت، وإنما في قبره المقدس لنُدفن معه كل يوم ونقوم أيضًا حاملين شركة أمجاده الإلهية.

